ويازاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض احدهما قلب محجوب
قاس لا رحمة فيه ولا احسان ولا بر ولا له صفا يرى به الحق بل هو جبار
جاهل لا عالم بالحق ولا راحم للخلق وبآزائه قلب ضعيف مأبي كاقوة
فيه ولا استمساك بل يقبل كل صورة وليس له قوة حفظ تلك الصور واذا زال
التاثير في غيره وكلما خالطه اقرفيه من قوي وضعيف وطيب وخبيث
وفي الزجاجة مصباح وهو النور الذي في القلب وهي حاملته ولذلك
مادة وهي زيت قد عصر من زيتونة شجرية اعدل الاماكن يصيبها الشمس
اول النهار واخره فزينها من اصفا الزيت وأبعده من الكدر حتى أنه من
صفائه يكاد يضيئ بلا نار فهذه مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن
هو من شجرة الوحي التي هي اعظم الاشجار بركة وابعدها من الاعراف بل هي
هي أوسط بين الطرفين المذمومين في كل شئ فهذه مادة مصباح الايمان
في قلب المؤمن. ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد ان يضئ بنفسه
نور خالط النار فاشتد بها اضاءه وقويت مادة ضوء النار به كان ذلك نورا
على نور وهكذا المؤمن قلبه مضئ يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة
له من نفسه فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نورا
بالوحي على نوره الذي فطره الله عليه فاجتمع له نور الوحي الى نور الفطرة فصار نورا
على نور فيكاد ينطق بالحق وان لم يتبع فيه اثرا ثم يتبع الاثر مطابقا لما شهدت به
فطرته فيكون نورا على نور فهذا شان المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا

ثم يتبع

يعني تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض

ثم يتبع الاثر جاء به مفصلا فنشأ ايمانه عن شهادة الوحي والفطرة فليتأمل اللبيب
هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة فذكر سبحانه نوره في السموات
والارض ونوره في قلوب عباده المؤمنين النور والمعقول المشهود بالبصائر والنور
الذي استنارت به البصائر والقلوب والنور المحسوس المشهود بالابصار الذي
استنارت به اقطار العالم العلوي والسفلي فهما نوران عظيمان وأحدهما أعظم
من الاخر وكما انك اذا افقدت احدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه أدنى حي ولا غيره
لان الحيوان انما يكون حيث النور ومواضع الظلم التي لا يشرق عليها نور لا
يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة فكذلك امة فقدت منها نور الوحي والايمان وقلب
فقد منه هذا النور ميت ولا بد لا حيوة له البتة كما لا حيوة للحيوان في مكان لا نور
فيه والله سبحانه يقرب بين الحيا والنور كما قوله عز وجل او من كان ميتا فأحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وكذلك
قوله عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا. وقد قيل ان الضمير في
جعلناه عائد الى الامر وقيل الى الكتاب وقيل الى الايمان فالصواب انه عايد الى
الروح فسماه نورا لما يحصل به من الحيوة وجعله نور لما يحصل به من الاشراق
والاضاءة وهما متلازمان فحيث وجدت هذه الحيوة وجدت الروح وجدت الاضاءة
والاستنارة وحيث الحيوة فلم يقبل قلبه لهذا الروح فهو ميت مظلم كما أن
من فارق بدنه روح الحيوة فهو هالك متصعد وبهذا يضرب سبحانه المثلين
من الماء والنار لما يحصل بالماء من الحيوة وبالنار من الاشراق والنور كما ضرب ذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)